التغير الدلالي في ألفاظ اللامساس الواردة في القرآن الكريم

(The Semantic Change in the Words of Impossibility contained in the Holy Qur'an)

إعداد: **د. فتحي موسى محمد صالح:** الأستاذ المساعد بجامعة أم درمان الإسلامية، السودان

Dr. Musa Mohammad Salih: Assistant Professor at Omdurman Islamic University, Sudan

Email: fathimusa33@gmail.com

المستخلص:

حاول الباحث أن يعالج مشكلة القراء والباحثين في توضيح هذه الظاهرة التي بسبب عدم فهمها قد يقع الكثيرون في سوء الفهم للمفردة العربية أو حتى للقرآن الكريم حيث لا يخفى علينا أن التغير الدلالي لا سيما اللامساس كان سبباً في سوء فهم المفردة العربية كما كان سبباً في اختلاف الآراء الفقهية وكذلك في اختلاف وجوه التفسير لبعض آي الذكر الحكيم التي ورد فيها. واتبع الباحث في هذا البحث منهج الدراسة الوصفية التاريخية حيث يعرض الباحث للّفظ، ويشير إلى دلالته التاريخية في المعاجم العربية مقارناً إياها بالمعنى الجديد الذي تحوّل إليه اللفظ عبر مراحل تطوره المختلفة وصولاً به إلى دلالته الجديدة في القرآن الكريم. وتوصلت الدراسة على مجموعة من النتائج أبرزها أنَّ اللامساس وسيلة من وسائل ثراء اللغة العربية وأحد أعمدة معجمها اللغوي إذا أحسن الناس استخدامه، وهو دليل قاطع على أن اللغة العربية ليست جامدة كما يظن بعضهم بل هي مرنة وقابلة للتطور والتجديد. كما يعد وسيلة لاحترام الحالة النفسية للأفراد والمجتمعات بعدم التعرض للشتم أو المآخذ اللغوية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، ماهية الدلالة، ماهية اللامساس، أهمية اللامساس، مواضع اللامساس، تطوير اللغة، إثراء المعجم العربي.

Abstract:

The researcher tried to address the problem of readers and researchers in clarifying this phenomenon, which, due to lack of understanding, many may fall into misunderstanding of the Arabic vocabulary or even of the Holy Qur'an, where it is no secret to us that the semantic change, especially the touch, was a cause of misunderstanding the Arabic vocabulary as it was a cause of differences Jurisprudential opinions, as well as the different aspects of interpretation of some verses of the Holy Qur'an in which it was mentioned.

In this research, the researcher relied on the method of the historical descriptive study, where the researcher presents the term, and refers to its historical significance in Arabic dictionaries, comparing it with the new meaning to which the term has been transformed through its various stages of development, leading to its new significance in the Holy Qur'an. The study reached a set of results, most notably that touching is one of the

means of enriching the Arabic language and one of the pillars of its linguistic lexicon if people use it well. Moreover, it is conclusive evidence that the Arabic language is not static, as some think, but rather is flexible and subject to development and renewal. Besides, it is also a way to respect the psychological state of individuals and societies by not being subjected to insults or language defects

Keywords: Qur'an, significance of semantics, meaning of language taboo, importance of language taboo, positions of language taboo, development of language, enrichment of Arabic lexicon.

المقدمة:

إن الله عزّ وجلّ نزّل كتابه العزيز بأفصح اللغات وأفضلها (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)[النحل: 103]. واختار لرسالته أفضل الأنبياء وأفصحهم لساناً وأفضلهم بياناً "أنا أفصح العرب مَيْدَ أني من قُرَيْشٍ ونشأت في بني سعد بن بكر"[1]، وقد شغلت بلاغة القران الكريم أذهان العلماء والمفكرين وأذهلت عقول الباحثين وقد تغلغلت في نفوس العرب وبلغت شغاف قلوبهم أجمعين فشُغلوا بها وأحدثت تحولاً كبيراً في حياتهم العقلية والاجتماعية والدينية؛ ذلك لأن العرب كانت تعتزُّ ببلاغتها، وتسمو بآدابها فهي إرثها التليد وركنها الشديد الذي تأوي إليه وتمسك به بيد من حديد.

وقد خصّ المولى عز وجل اللغة العربية بالقدرة على التجدد والاستمرار رغم الظروف والعقبات التي تعترضها، وذلك لما تتمتع به من خصائص وميزات تجعلها دائمة الحضور والتجدد، ومن خصائص اللغة العربية اتساع معجمها اللفظي، فللمعنى الواحد ألفاظ متعددة، إذا تعسر على المتكلم لفظة أتى بمرادفها، ومنها عذوبة اللغة العربية، وجمال ألفاظها، وحسن تركيب عباراتها، على مستوى الجمل، أو على مستوى مكونات الكلمة من الحروف، فمن يتتبع تراكيب هذه اللغة ويتدبر أثر الأسباب اللسانية فيها، لا يجد كلاماً يعدل كلام العرب في العذوبة والبيان أو عدم القدرة على نطق بعض الحروف، وقد عظُم دورها في الآونة الأخيرة واحتلت مكانة مرموقة في المجتمع الدولي وأصبحت لغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة وفي المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو).

1- ابن سلام الهروي (1396هـ): غريب الحديث، ج1، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، بيروت: دار الكتاب العربي، ص140.

لذلك فإن تناول الباحث لألفاظ القران القرآن واختياره مصطلح (التطور) الدلالي لهذه الألفاظ في القرآن الكريم وليس (التغير الدلالي) قد كان أمراً مقصوداً وفيه إشارة إلى النُقلة التي أحدثها الأسلوب القرآني في تطوير ألفاظ اللغة والسمو بها إلى درجات الكمال. فقد احتلّت البلاغة النبوية المرتبة الأولى في البيان العربي في ظروف شهدت تظاهرة لغوية لم يسبق لها مثيل فكانت العرب في تلك الفترة في غاية القوة في البيان العربي.

وقد كان الدافع للباحث وراء اختيار لفظ التطور وليس التغير لما لمسه الباحث من اختلاف بين اللفظين حيث إن التطور مرتبط بالتحول التدريجي في الأشياء للأفضل، وهو بالضبط ما حدث للألفاظ في الإسلام، جاء في المعجم الوسيط: "(التطور) التَّغَيُّر التدريجي الَّذِي يحدث فِي بنية الكائنات الْحَيَّة وسلوكها، وَيُطلق أَيْضا على التَّغَيُّر التدريجي الَّذِي يحدث فِي تركيب الْمُجْتَمع أَو العلاقات أَو النّظم أَو الْقيم السائدة فِيهِ"[1].

أما التغيير فيعني التحويل والتبديل وليس بالضرورة أن يكون الأمر متدرجاً أو متطوراً، وبذلك يكون الوصف أدق في نظر الباحث، جاء في لسان العرب: "وتغيَّر الشيءُ عَنْ حَالِهِ: تَحَوَّلَ. وغَيَّرَه: حَوَّله وَبَدَّلَهُ كأَنه جَعَلَهُ غَيْرَ مَا كَانَ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

(ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[الأنفال: 53]. قَالَ ثَعْلَبٌ: مَعْنَاهُ حَتَّى يبدّلوا مَا أَمرهم اللَّهُ"[2].

منهج الدراسة:

تعتبر هذه الدراسة دراسة وصفية تاريخية لموضوع علم الدلالة في ألفاظ اللامساس حيث يعرض الباحث للّفظ، ويشير إلى دلالته التاريخية في المعاجم العربية مقارناً إياها بالمعنى الجديد الذي تحوّل إليه اللفظ عبر مراحل تطوره المختلفة وصولاً به إلى دلالته الجديدة في القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

- خدمة اللغة العربية التي شرفها الله عز وجل واصطفاها بأن جعلها لغة أشرف الكتب التي أنزلها وهو القران الكريم، كما شرفها باختيارها لغة رسمية لأهل الجنة.
- خدمة القرآن الكريم من خلال تسليط الضوء على النصوص القرآنية التي تمثل منهجاً للأمة الإسلامية وطريقاً لهدايتها.

1 – إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة: دار الدعوة، مادة: (ط و ر).

2 – ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (1414 هـ): لسان العرب، ج5، ط3، بيروت: دار صادر، مادة (غ ب ر).

- تسليط الضوء على الألفاظ العربية التي استطاعت أن تحافظ على بريقها وزهوها بعد مجيء الإسلام.
- الخروج بالنصوص من إطار التصنيف التقليدي إلى الوظيفة الحضارية للعلوم الشرعية التي بها يتحقق مفهوم الاستخلاف في الأرض، وتبيان المقاصد من النصوص الشرعية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من الآتي:

1. تعدُّ هذه الدراسة محاولة للربط بين المعهود اللغوي والمعهود الشرعي في الألفاظ العربية ما يعين على الفهم الصحيح للقران الكريم.
2. ربما ساعدت الدراسة في حسم بعض الخلافات التي تصدر بشأنها أحكام فقهية وقضائية ومراعاة السياق اللفظي في الترجيح الحكمي والفقهي.
3. تعد الدراسة محاولة لوضع معجم دلالي يربط المفهوم اللغوي بالمفهوم الديني من خلال الرجوع الى أصل الكلمة في المعاجم العربية والشعر العربي القديم وصولاً بهذه الكلمة الى دلالتها الجديدة في الحديث النبوي الشريف.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

- جعل الدراسة الشرعية مجالاً للتطبيق والنظر في القضايا الشرعية اللغوية وخدمة اللغة العربية والتراث الإسلامي.
- استنباط الأسس اللغوية التي تتعلق باستنباط الأحكام الشرعية وتطبيقها.
- جعل المباحث اللغوية تحتل حيّزاً في خدمة العلوم الشرعية، وتوثيق عُرى التكامل بين العلوم الشرعية واللغوية.
- خدمة القرآن الكريم الذي قامت الدراسات اللغوية من أجله ولحمايته من اللحن.
- الفهم الصحيح للخطاب القرآني من خلال تبيان التطور الدلالي للألفاظ كخطوة التي من بينها (اللامساس) نحو تطوير منهجية البحث العلمي.

هيكل الدراسة:

- اقتضت خطة الدراسة أن تكون في ثلاثة مباحث وعدد من المطلب جاءت على النحو الآتي:
- المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في الدلالة.
- المبحث الثاني: مفهوم اللامساس.
- المبحث الثالث: مواضع اللامساس في الألفاظ الواردة في القرآن الكريم (الدراسة التطبيقية).

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في الدلالة

المطلب الأول: مفهوم الدلالة في اللغة:

علم الدلالة هو أحد فروع علم اللغة (linguistics) وأحدثها ظهوراً، ينهض على دراسة المعنى (semantics)، أو دراسة دلالة الوحدات المعجمية (lexical unites)). ومما هو معلوم في تاريخ اللغات الإنسانية التي يتكلمها البشر أن الحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأولى لمحيطها الدلالي الخطابي، والصورة المعجمية للّفظ في اللغة العربية تمثل الصورة الأولى لهذا اللفظ في القاموس.

وقد جاء تعريف الدلالة في معاجم اللغة العربية في معان متقاربة تدور حول معنى الإرشاد والهدي والسمت والدل، جاء في لسان العرب: "الدَّلُّ والهَدْيُ قريبٌ بعضُه مِنْ بَعْضٍ، وَهُمَا مِنَ السِّكِّينَةِ وحُسْن المَنْظَر. وَفِي الْحَدِيثِ: " أَن أَصحاب ابْنِ مَسْعُودٍ كَانُوا يَرْحَلون إِلى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَنْظُرُونَ إِلى سَمْتِه وهَدْيه ودَلِّه فَيَتَشَبَّهُونَ بِهِ، قَالَ أَبو عُبَيْدٍ[1]: أَما السَّمْت فإنه يَكُونُ بِمَعْنَيَيْنِ: أَحدهما حُسْن الْهَيْئَةِ والمَنْظَر فِي الدِّينِ وَهَيْئَةِ أَهل الْخَيْرِ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي أَن السَّمْت الطَّرِيقُ؛ يُقَالُ: الْزَمْ هَذَا السَّمْت، وَكِلَاهُمَا لَهُ مَعْنًى، إِمَّا أَرادوا هَيْئَةَ الإِسلام أَو طَرِيقَةَ أَهل الإِسلام؛ وَقَوْلُهُ إِلى هَدْيِه ودَلِّه، فإِن أَحدهما قَرِيبٌ مِنَ الْآخَرِ، وَهُمَا مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ فِي الْهَيْئَةِ والمَنْظر وَالشَّمَائِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الدَّلِّ فِي الْحَدِيثِ، وهو والهَدْي، والسمْت عِبَارَةٌ عَنِ الْحَالَةُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الإِنسان مِنَ السَّكينة وَالْوَقَارِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ وَالطَّرِيقَةِ؛ قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ يَمْدَحُ امْرَأَةً بِحُسْنِ الدَّلّ:

لَمْ تَطَّلَّع من خِدْرها تَبْتَغي خِبْباً *** وَلَا سَاءَ دَلُّها فِي العِناقِ[2].

وَفُلَانٌ يُدِلُّ عَلَى أَقرانه كَالْبَازِي يُدِلُّ عَلَى صَيْدِهِ. وَهُوَ يُدِلُّ بِفُلَانٍ أَي يَثِق بِهِ. وأَدَلَّ الرجلُ عَلَى أَقرانه: أَخذهم مِنْ فَوْقُ، وأَدَلَّ الْبَازِي عَلَى صَيْدِهِ كَذَلِكَ. ودَلَّه عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّه دَلًّا ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إِليه، ودَلَلْته فانْدَلَّ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا لَكَ يَا أَحمقُ، لَا تَنْدَلُّ *** وَكَيْفَ يَنْدَلُّ امْرُؤٌ عِثْوَلُّ؟[3].

1 هو القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من كتبه " الطهور " في الحديث، و" الأجناس من كلام العرب " و" أدب القاضي " و" فضائل القرآن " و" الأمثال " و" المذكر والمؤنث " و" المقصور والممدود "، وغيرها، الزركلي: الأعلام، ج5، ص176.

2 – حققه وجمعه: محمد جبّار المعيبد (1385هـ–1965م): ديوان الشاعر عدي بن زيد العبادي، بغداد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، ص155.

3 – ابن منظور: لسان العرب، ج11، ورد البيت بغير نسبة، العِثْوَلُّ: الطَّويلُ اللِّحْيَة، وهو عِثْوَلُّ الشَّعَر أيضاً. والضَّخْمُ القَدْم الجافي الأشْعَر: (فصل الدال المهملة).

وجاء في الصحاح: " الدَليلُ: ما يُسْتَدَلُّ به. والدَليلُ: الدالُّ. وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، والفتح أعلى. وأنشد أبو عبيد:

إنّي امرؤٌ بالطُرْقِ ذو دَلالاتْ.

والدليلى: الدليل[1]، وجاء في غريب الحديث: وَقَالَ[أَبُو عبيد]: فِي حَدِيث عمر (ﷺ) أَن أَصْحَاب عبد الله كَانُوا يرحلون إِلَيْهِ فَيَنْظُرُونَ إِلَى سَمته وهديه ودله قَالَ: فيتشبهون بِهِ...)، وَقَوله: إِلَى هَدْيه ودلّه فَإِن أَحدهمَا قريب الْمَعْنى من الآخر وهما من السكينَة وَالْوَقار فِي الْهَيْئَة والمنظر وَالشَّمَائِل وَغير ذَلِك، وَقَالَ الأخطل يصف الثور وَالْكلاب:

حَتَّى تناهَينَ عَنهُ ساميًا حَرِجاً *** وَمَا هَدى هَدْي مهزومٍ وَمَا نكلا[2].

وَمِنْه حَدِيث سعد قَالَ: بَيْنَمَا أَنا أَطُوف بِالْبَيْتِ إِذْ رَأَيْت امْرَأَة فَأَعْجَبَنِي دَلّها فَأَرَدْت أَن أسأَل عَنْهَا فخِفت أَن تكون مَشْغُولَة وَلَا يَضرك جمال امْرَأَة لَا تعرفها"[3].

وقد ورد أيضاً في تعريف الدلالة (دلّ) عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ دلَالَة أرشد وَيُقَال دله على الطَّرِيق وَنَحْوه سدده إِلَيْهِ فَهُوَ دَال وَالْمَفْعُول مَدْلُول عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ وَالْمَرْأَة على زَوجهَا دلالا أظهرت الجرأة عَلَيْهِ فِي تكسر وملاحة كَأَنَّهَا تخَالفه وَمَا بهَا من خلاف وَيُقَال مَا دلك عَليّ مَا جرأك عَليّ)[4].

وجاء في القاموس المحيط: "... ودَلَّهُ عليه دَلالَةً، ويُثَلَّثُ، ودُلولةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدِّلِّيلى، كخِلِّيفَى: الدَّلالَةُ، أو عِلْمُ الدَّليلِ بها، ورُسوخُهُ"[5].

مما سبق يتبين أن مفهوم (الدلالة) يدور حول معنى الإرشاد، والهدي، والسمت، والتسديد، والرسوخ في علم الدلالة، فلا يخرج اللفظ عن مدار العلاقة بين اللفظ ومدلوله أو العلاقة بين الدال والمدلول. وعند تتبعنا لآيات الذكر الحكيم نجد أن هذه المعاني متحققة كلها في هذه الكلمة، فمن

1 – إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (1407 هـ – 1987 م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، ط/الرابعة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، مادة (دلل).

2 – مهدي محمد ناصر الدين (1414هـ – 1994م): شرح ديوان الشاعر الأخطل، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، ص264، تناهين: رجعن، السامي: الماضي المسرح، نكل: خاف وجبن.

3 – القاسم بن سلاّم ابن سلام الهروي: غريب الحديث، ج1، باب (سمت).

4 – المعجم الوسيط، مادة (د ل ل).

5 – الفيروزآبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب (1426 هـ – 2005 م): القاموس المحيط، ج1، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، فصل (الدال).

ذلك مثلاً قول المولى عزّ وجلّ في قصة سيدنا موسى عليه السلام: (وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)[القصص: 12].

وقوله تعالى حكاية عن إبليس: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)[طه: 120].

فالدلالة في الآيتين تعني الإرشاد والتوجيه، وفيهما إشارة واضحة إلى الدال والمدلول حيث إننا نجد طرفاً باعثاً (دال) يحمل رسالة ذات دلالة، وطرفاً متقبلاً يتلقى الرسالة ويستوعبها (مدلول)، وبذلك تكتمل العملية الإبلاغية.

كما نتبين مثل هذه المعاني في مواضع أُخرى من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا). [الفرقان: 45]. فقد جعل المولى عز وجل الشمس دليلاً على وجود الظل، وسبباً فيه في إشارة إلى العلاقة بين الدال والمدلول. ومثل هذا يقال في قول الحق عز وجل: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)[سبأ: 14]. فبينت الآية الرابط المفهومي بين الأرضة التي أكلت المنسأة وموت سيدنا سليمان عليه السلام، وكشفت عن تداعيات أخرى تتعلق بادعاء الجن معرفة الغيب، فالأرضة هي التي دلت الجن وأرشدتهم إلى موت سيدنا سليمان عليه السلام، فالعلاقة بين الدال ومدلوله كانت سبباً في الربط بين المفردات وخلقت جسراً من التواصل بين المعاني والدلالات.

فهذه الآيات التي وردت في ثنايا التعريف اللغوي للفظ (دلّ) بصيغه المختلفة تشترك جميعها في تعيين الأصل اللغوي لّلفظ (دلّ) الذي لا يخرج في معناه العام عن معنى الإشارة، والإرشاد، والهدي، والسمت، والتسديد. وهذا التصور لمعنى الدلالة في المعاجم العربية لا نراه يخرج عن التصور الحديث لمعنى الدلالة، وهذا يعني أن المصطلح الحديث لعلم الدلالة قد استوحى معناه من الصورة المعجمية التي وُجدت في أساليب الخطاب اللغوي القديم.

المطلب الثاني: مفهوم الدلالة في الاصطلاح:

علم الدلالة من الموضوعات اللغوية التي وجدت اهتماماً كبيراً من علماء اللغة المحدثين، وقد أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها الآن كلمة: (semantics)، وعلم الدلالة علم يختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب اللغوية في سياقاتها المختلفة، وقد وردت له عدة تعريفات منها:

علم الدلالة: "العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير، ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معنى سواء أكان الرمز لغوياً أو غير لغوي (مثل الحركات، والإشارة،

والهيئات، والصور، والألوان، والأصوات غير اللغوية، وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي"[1].

وقد عرفه بعضهم بأنه: علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى" أو" ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في اللفظ حتى يكون قادراً على حمل المعنى"[2].

ومن خلال هذا التعريف يرى الباحث ضرورة التنبيه والاحتراز في استخدام لفظ (دراسة المعنى)، حيث لا يجوز جمع الكلمة فنقول: (دراسة المعاني) فهو حينئذ يخرج عن مفهومه الأساس، ويدخل في دائرة فرع آخر من فروع اللغة العربية مختص به في علم آخر هو (علم البلاغة).

كما عرف أيضا بأنه: "العلم الذي يهتم بدراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"[3]، ومن ثم فهو أحد فروع علم الرموز semiology)، وهذا التعريف يستلزم أن يكون موضوع علم الدلالة كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، سواء أكانت العلامة لغوية أو غير لغوية. ولا يمكن فصله عن بقية علوم اللغة، فكل منها يستعين بالآخر.

وقد عُرف هذا الفروع من علوم العربية في العربية بـ(علم الدلالة)، أو(علم المعنى)، أو(علم السيمانتيك)، أخذاً من الكلمة الإنجليزية (semantics).

وقد اختلف المؤلفون العرب في مقابلة مصطلح (Semantics)، فبعضهم يقابله بعلم المعنى، وبعضهم يقابله باصطلاح دلالة الألفاظ، ولكن المقابل الأكثر شيوعا الآن هو علم الدلالة.

وعلى الرغم من أن علم الدلالة هو أحدث الدراسات اللغوية ظهورا، فإن دراسة الدلالة أو المعنى تُعدّ من الدراسات اللغوية القديمة التي جاءت مواكبة لتقدم الفكر الإنساني على مرّ العصور؛ إذ حظيت بالعناية عند كل من فلاسفة اليونان والهنود واللغويين العرب القدامى، ثم غدت ذات ملامح خاصة محدّدة في العصر الحديث؛ حيث جنحت نحو العلم بمفهومه الخاص، له نظرياته وقضاياه ومسائله التي تميزه عن سواه من العلوم اللغوية.

ومن التعريفات السابقة يستخلص الباحث تعريفاً لعلم الدلالة فيقول: "علم الدلالة هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى لغوياً كان أو غير لغوي، ودراسة الشروط الواجب توفراها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى المراد منه ".

1- محمود عكاشة التحليل (1426هـ- 2005م): التطور اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ص9.
2- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، القاهرة، عالم الكتب، ص11.
3 - علاء إسماعيل الحمزاوي: الأمثال العربية والأمثال العامية، مقارنة دلالية، جامعة المنيا، ص14.

المبحث الثاني: مفهوم اللامساس

المطلب الأول: مفهوم اللامساس في اللغة:

جاء في تعريف لفظ (مس): مسست الشيء بالكسر أمسه مَسًّا، فهذه اللغة الفصيحة. وحكى أبو عبيدة: مسست الشيء بالفتح أمُسُّهُ بالضم. وربَّما قالوا مِسْتُ الشيء يحذفون منه السين الاولى ويحوّلون كسرتها إلى الميم، ومنهم من لا يحول ويترك الميم على حالها مفتوحة، وهو مثل قوله تعالى: (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)[الواقعة: 65] ؛ يكسر ويفتح، وأصله ظللتم، وهو من شواذ التخفيف. وأنشد الاخفش:

مِسْنا السماءَ فنِلْناها وطالَهُمُ *** حتَّى رأوْا أحُداً يَهْوي وثَهْلانا.

وأمْسَسْتُهُ الشيء فمسه. والمسيس: المس، وكذلك المسيسى، مثال الخصيصى. والممسوس: الذي به مس من جنون. والمُماسَّةُ: كنايةٌ عن المُباضَعة ; وكذلك التماسُّ. وقوله تعالى: (من قبل أن يتَماسَّا)[المجادلة: 3] وقوله تعالى: (أن تقول لا مَساسَ). [طه: 97] ؛ أي لا أمسُّ ولا أُمَسُّ. وأمَّا قول العرب لا مَساسِ، مثل قطامِ، فإنَّما بُني على الكسر لأنَّه معدولٌ عن المصدر[1].

وجاء في تعريفه أيضاً: (يُقَالُ: مَسِسْتُ الشيءَ أَمَسُّه مَسّاً، إِذَا لَمسْتَه بِيَدِكَ، ثُمَّ استُعير لِلْأَخْذِ وَالضَّرْبِ لِأَنَّهُمَا بِالْيَدِ، وَاسْتُعِيرَ للجِماع؛ لِأَنَّهُ لمْسٌ، وللجُنون؛ كأَنَّ الجِنَّ مَسَّتْه. يُقَالُ: بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنونٍ)[2].

وورد أيضا في تعريف اللامساس: (مَسِسْتُه، بِالْكَسْرِ، أَمَسُّه مَسّاً ومَسيساً: لَمَسْتُه، هَذِهِ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ، ومَسَسْتُه، بِالْفَتْحِ، أَمُسُّه، بِالضَّمِّ، لُغَةٌ، وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: وَقَالُوا مِسْتُ، حَذَفُوا فأَلْقَوا الْحَرَكَةَ عَلَى الْفَاءِ كَمَا قَالُوا خِفْتُ)[3].

مما سبق من تعريف فإننا نلاحظ أن لفظ (مسّ) لم يخرج في أصل وضعه اللغوي أو المعجمي عن معنى اللمس ولا يكاد يتعدى هذا المعنى إلا مجازاً.

1 – الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب (مسس).

2 – مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(1399هـ – 1979م): النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت: المكتبة العلمية، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، باب (مسس).

3 – ابن منظور: لسان العرب، فصل (الميم).

المطلب الثاني: اللامساس في الاصطلاح:

اللامساس هو استخدام مجازي يحدث حينما ينقل العربي اللفظ من معناه الأصل إلى معنى آخر مجازي حين ينفر الشخص من ذكر أشياء يكرهها، أو يحظر استعمالها، أو يخاف منها. يقول عنه "رمضان عبد التواب": "وهذه الظاهرة هي ما يطلق عليه اسم: (اللامساس) أو (الحظر)، وتطلق على كل ما هو مقدس أو ملعون يحرم لَمسه وهو، أو الاقتراب منه من الأشياء وأسمائها بسبب الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة، فإذا اصطدمت كلمة ما بحظر الاستعمال تحت تأثير عامل (اللامساس)، حلت محلها كلمة أخرى خالية من فكرة الضرر والأذى"[1].

وربما كان هذا هو السبب في تسمية بعض الشعوب لاسيما في مصر والسودان الحُمّى ب(المبروكة)، لتقليل تأثيرها، أو قولهم فلان بعافية تفاؤلاً له بالعافية أو هروباً من ذكر المرض، أو قولهم: انتقل إلى جوار ربه، أو لبّى نداء ربه بدلاً من ذكر كلمة (مات).

وهذه الظاهرة لم تكن مقصورة فقط على الشعوب العربية، بل هي موجودة في مجتمعات أخرى كاليهود، والمجر، يقول "رمضان عبدالتواب": "وقد بلغ هذا الاحترام والإجلال لدى بعض الأمم أن أصبح ذكر اسم الرب أو الإله محظوراً محرماً، فاليهود لا ينطقون باسم الرب(يهوا) ويستعيضون بكلمة أخرى معناها (السيد) هي (أدناي) كلما عرضت لهم (يهوا) في أثناء القراءة أو الترتيل"[2]، وتقديراً للبعد النفسي لهذه المعاني والدلالات في نفوس الناس جاء القرآن الكريم مخاطباً الناس وفق ما تقبله أذواقهم وتميل إليه طبائعهم، فلما كانت النفس البشرية تتحرج من استعمال الألفاظ النابية، أو الألفاظ المتعلقة بالناحية العاطفية أو الجنسية، التمس القرآن الألفاظ التي تقبلها أذواقهم، وتميل إليه طبائعهم، إذ إن القرآن قد نزل بلغتهم، فكنّى القرآن عن الجماع بألفاظ كثيرة منها: الرفث، والإفضاء، والدخول، والمباشرة، وغيرها. قال تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)[البقرة: 187]، وقال تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا)[المجادلة: 3]، وقال تعالى: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)[النساء: 21]، وقال تعالى: (مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)[النساء: 21]، وقوله تعالى: (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)[البقرة: 187].

وقد أشار إلى هذا الاستخدام في اللغة العالم اللغوي ابن جنيّ بقوله: "وطريق ذلك أن اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة، وقد قدمنا ذكر ذلك في كتابنا هذا وغيره، فلما كانت كذلك، وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها وانتشار أنحائها،

[1] – رمضان عبد التواب (1420هـ – 1999م): فصول في فقه العربية، ط6، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص345.
2 – المصدر السابق، ص345.

جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها، فهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعادتهم في استعمالها"[1].

وتجيء مفرداتنا السودانية هي الأخرى ثرة بمفردات اللامساس taboo)، فمن ذلك مثلاً: المثل السوداني (المضطر يأكل النبيلة)، أي: الميتة فنجدهم يهربون من ذكر الميتة ويقفزون إلى لفظ آخر هو النبيلة، وهو عكس المعنى الأول. ونجدهم يقولون في وصف الشخص ذي البشرة السوداء(أخضر)، هروباً من ذكر السواد، وربما كان ذلك بسبب ارتباط دلالة السواد عندهم بالشؤم، وقد ارتبط السواد في المجتمع السوداني وبعض المجتمعات العربية بالأحزان، حيث نجد كثيراً من النساء يرتدين السواد تعبيراً عن الحزن عند وفاة شخص عزيز، وربما يرددن بعض الكلمات من نحو(واسوادي)، أو (يانهار أسود).

وقد وجد الباحث بعض المجتمعات في أقاليم دارفور يسمون أبناءهم بأسماء قبيحة وذلك إذا ولد لأحدهم أكثر من مولود ويموتون تباعا، فيسمون المولود الثالث أو الرابع مثلاً باسم ذميم نحو **(تندل، تبن، المر، مرة)**[2]، حتى لا يموت ذلك المولود ويلحق بإخوته الذين سبقوه من قبل، وهذا من باب دفع تأثير الحسد عنه بحسب اعتقادهم.

وهكذا نلاحظ أن بيئة اللغويين لم تألوا جهداً في دراسة طبيعة العلاقة بين الألفاظ ومعانيها، والكشف عن بعض جوانبها، وقد حاولوا من خلال معالجة هذه العلاقة إبراز الوظائف الدلالية التي تلعبها قضايا كبرى في اللغة العربية، كالترادف والمشترك اللفظي والتضاد، باعتبارها خصائص فاعلة في تنويع وتوسيع مساحة التعبير في اللغة العربية، التي من خلالها نتمكن من الاستيعاب الكلي للدلالة الشاملة للألفاظ.

المبحث الثالث: مواضع اللامساس في القرآن الكريم

الموضع الأول: الرفث:

جاء في لسان العرب في معنى الرفث: (الرَّفَثُ: الجماعُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وامرأَته، يَعْنِي التَّقْبِيلَ والمُغازلة وَنَحْوَهُمَا، مِمَّا يَكُونُ فِي حَالَةِ الْجِمَاعِ، وأَصله قَوْلُ الفُحْش. والرَّفَثُ أَيضاً: الفُحْشُ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَلَامُ النساءِ فِي الْجِمَاعِ؛ تَقُولُ مِنْهُ: رَفَثَ الرَّجُلُ وأَرْفَثَ؛ قَالَ الْعَجَّاجُ:

1 – عثمان بن جني: الخصائص، ج3، المكتبة التوفيقية، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، ص247.

2 – تندل: التندل هو مكان رمي الأوساخ والقاذورات – تبن: من التبن وهو علف الحيوان واحيانا يطلقونه على مربض الحيوان – المُر: يريدون: ذو المذاق المر، وهو مذاق تمجه الألسن.

ورُبَّ أَسرابِ حَجيجٍ كُظَّمِ *** عَنِ اللَّغَا، ورَفَثِ التَكَلُّم [1]

فدل معنى قوله: وأصله قول الفحش أن الرفث في أصل وضعه دال على الأقوال لا على الأفعال، أي الأقوال المؤدية إلى الجماع، ثم تحول المعنى إلى الأفعال المؤدية إلى الجماع بحسب ما اعتاد عليه الناس من ارتباط هذه القوال بعملية النكاح، فالأقوال غير محسوسة لكن انتقلت دلالتها إلى معان محسوسة وهو ما أراده التعبير القرآني حيث إنه يطلق اللفظ ثم يطلق للعقل العنان في الانتقال إلى دلالاته بحسب الموروث اللغوي لديه فهو لا يمس اللفظ المباشر الذي هو الجماع لما له من تأثير سالب في نفوس مستخدمي العربية بحسب ما هو معهود عندهم من دلالة اللفظ.

لذلك نجد بعض الاختلاف عند المفسرين في تفسير معنى الرفث الوارد في القرآن الكريم؛ جاء في فتح القدير: (وَالرَّفَثُ قال ابن عباس، وابن جبير، وَالسُّدِّيُّ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ، وَعِكْرِمَةُ، وَالزُّهْرِيُّ، وَمُجَاهِدٌ، وَمَالِكٌ: هُوَ الْجِمَاعُ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ، وَطَاوُسٌ، وَعَطَاءٌ، وَغَيْرُهُمْ: الرَّفَثُ: الْإِفْحَاشُ بِالْكَلَامِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الرّفث: اللغا من الكلام[2].

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)[البقرة: 187].

جاء في تفسير معنى الرفث في هذه الآية: والرفث: كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يَكْنِي، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الرَّفَثُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ مَا يُرِيدُ الرَّجُلُ مِنَ امْرَأَتِهِ، وَقَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ أَيْضًا. وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: الرَّفَثُ هَا هُنَا الْجِمَاعُ. وَالرَّفَثُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْجِمَاعِ وَالْإِعْرَابِ بِهِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَيُرَيْنَ مِنْ أُنْسِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا *** وَبِهِنَّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارٌ [3]

كما ورد في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)[البقرة: 197].

ورد في تفسير هذه الآية: (يُقَالُ رَفَثَ فِي كَلَامِهِ يَرْفُثُ وَأَرْفَثَ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَنْشَدَ وَهُوَ مُحْرِمٌ:

وَهُنَّ يمشين بنا هميسا *** أن يصدق الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسًا

1 – ابن منظور: لسان العرب، فصل (الراء).

2 – محمد بن علي الشوكاني (1414 هـ): فتح القدير، ج1، ط1، بيروت: دار ابن كثير، ص229.

3 – محمد بن أحمد القرطبي (1384هـ – 1964 م): الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ج2، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ص314.

فَقِيلَ لَهُ: أَتَرْفُثُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا الرَّفَثُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ. فَثَبَتَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الرَّفَثِ هُوَ قَوْلُ الْفُحْشِ ثُمَّ جُعِلَ ذَلِكَ اسْمًا لِمَا يُتَكَلَّمُ بِهِ عِنْدَ النِّسَاءِ مِنْ مَعَانِيَ الْإِفْضَاءِ، ثُمَّ جُعِلَ كِنَايَةً عَنِ الْجِمَاعِ وَعَنْ كُلِّ مَا يَتْبَعُهُ)[1].

فابن عباس يرى أنه لا رفث بين الرجال وإنما الرَّفَث مَا رُوجِع بِهِ النّساء. فَأَما أَن يَرفُثَ فِي كَلَامه وَلَا تَسمع امْرَأَة رَفَثَه، فغَيْرُ داخلٍ فِي قَوْله تَعَالَى: {فَلاَ رَفَثَ}.

فالذي نخلص إليه هو أن كلمة الرفث من ألفاظ اللامساس، حيث إن المولى عز وجل عبر بها عن الجماع بغير لفظه المباشر وذلك لما يسببه اللفظ المباشر من حرج في النفوس وتعبير يمجه الذوق العربي فاختار الله عز وجل بحكمته البالغة في قرآنه المبين هذه الكلمة بدلالة يقبلها الذوق العربي الأصيل لتضيف معنى بيانياً يعكس وجه الإعجاز في القرآن العظيم.

الموضع الثاني الإفضاء:

جاء في تعريف الإفضاء: (والفَضا، مقصور: الشيءُ المختلِط كالتَّمْر والزَّبيب في جِرابٍ واحد، قال:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَمَّتِي لَكِ نَاقَتِي *** وَتَمْرٌ فَضًا فِي عَيْبَتِي وَزَبِيبُ [2].

وأَفْضَى فلان الى فلانٍ أي وَصَلَ إليه، وأصله: أنه صارَ في فُرْجَته وفَضائه. وأَلْقَيتُ ثوبي في الدارِ فضاً أي لم أستَوْدِعْه أَحَدَاً) [3].

ويقال في اللغة: (وأَفْضَى فلانٌ إلى فلانٍ وَصَلَ، وأَصْلُه أنه صار في فُرْجَتِه وحيِّزِه قال ثَعْلَبةُ بن عبيدٍ العَدَويُّ يصفُ نَحْلاً:

شَتَتْ كَثَّةَ الأَوْبَارِ لاَ القُرَّ تَتَّقِي *** ولا الذِّئبَ تَخْشى وهي بالبَلَدِ المُفْضي

أي العَراء الذي لا شيءَ فيه [4].

---

1 – محمد بن عمر الرازي (1420 هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج5، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص269.

2 – العيبة: زبيل من أدم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين. وما يجعل فيه الثياب، البيت في اللسان غير منسوب، والرواية فيه:

فقلت لها يا خالتي.....

3 – الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري: كتاب العين، ج7، دار ومكتبة الهلال تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، باب الضاد والفاء.

4 – علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (1421 هـ – 2000 م): المحكم والمحيط الأعظم، ج8، ط: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، باب (ف وض).

ومما سبق يتبين أن لفظ الإفضاء لا يدل في أصل وضعه على معنى الجماع ولكن نقل إلى معنى الإفضاء بجامع الاختلاط أو الخلوة بالمرأة أو الوصول إليها بطريق ما، فإذا كانت العرب ينتابها الحياء حين تصرح بلفظ الجماع فلا غرو أن يجئ التعبير القرآني بذات الدرجة من الحياء دون مساس بالألفاظ التي تخدش حياءهم لأن الله حييّ كريم.

ونجد هذا الاستعمال في نحو قوله تعالى: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)[النساء: 21].

فسره بعضهم بالخلوة، وبعضهم بالجماع، جاء في تفسير القرطبي وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْإِفْضَاءُ إِذَا كَانَ مَعَهَا فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ جَامَعَ أَوْ لَمْ يُجَامِعْ، حَكَاهُ الْهَرَوِيُّ وَهُوَ قَوْلُ الْكَلْبِيِّ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْإِفْضَاءُ أَنْ يَخْلُوَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَأَنْ يُجَامِعَهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ: الْإِفْضَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْجِمَاعُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَكِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُكَنِّي)[1].

قال المفسرون: أراد المجامعة، ولكن الله كريم يكني بما شاء عمّا شاء، وذكر الماوردي في تفسير هذه الآية: (فيه قولان: أحدهما: أن (الإفضاء) الجماع وهو قول ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه الخلوة وهو قول أبي حنيفة)[2].

الموضع الثالث: الغائط:

جاء في تعريف الغائط: (غاط في الشيء يغوط ويَغيطُ: دخل فيه. يقال: هذا رملٌ تَغوطُ فيه الأقدام. وقولهم: أتى فلانٌ الغائِطَ، وأصل الغائِطِ المطمئنُّ من الأرض الواسع، والجمع غوطٌ وأغْواطٌ وغْيطانٌ)[3].

قال الشاعر:

تُعَلَّقُ في مثلِ السَّواري[4] سيوفُنا *** وما بينها والأرضِ غَوْطٌ نَفانِفُ[5].

المعنى: إن قومي قوم طوال، والسيف على الفارس منا كأنه على سارية من طوله، وبين السيف وكعب الرجل مسافة طويلة.

1 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج5، ص102.

2 – علي بن محمد بن محمد بالماوردي (المتوفى: 450هـ–): تفسير الماوردي = النكت والعيون، ج1، لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ص467.

3 – محمّد بن محمّد الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 19، دار الهداية، باب (غوط)

4 – السواري: ج سارية، وهي الأسطوانة "العمود".

5 – نفانف: ج نفنف وهو الهواء بين الشيئين، وكل شيء بينه وبين الأرض مهوى فهو نفنف، والمعنى هنا: واسعة.

وَفِي الْحَدِيثِ: قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَنْزِلُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ، عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةُ، يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُهَاجِرِينَ)[1].

يتبادر إلى الأذهان اليوم عند ذكر لفظ الغائط معنى العذرة أو قضاء الحاجة، وقد تبين من المعني الذي سبق ذكره في التعريف أنه لا علاقة بين المعنى اللغوي في دلالته الأصلية والمعنى الجديد الذي انتقل إليه اللفظ في الاستخدام القرآني، حيث انتقى القرآن أعذب العبارات وأكثرها تهذيباً في أداء هذا المعنى فقال: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) حيث يصبح واضحاً من الدلالة الذهنية أن الذي يذهب إلى ذلك المكان المطمئن من الأرض إنما يذهب لقضاء الحاجة، وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن أعين الناس.

لذلك نجد المفسرين لا يجدون مشقة في تفسير الآية الكريمة: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) [النساء: 43]، حيت قالوا: (يعني الذي أحدث بالتبرز إلى الغائط وهو المطمئن من الأرض، وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن أعين الناس، ثم قيل للحدث غائط، إذا كان سببا له) [2]

الموضع الرابع: المس:

جاء في لسان العرب: (وَيُقَالُ: مَسِسْتُ الشيءَ أَمَسُّه مَسّاً لَمَسْتَه بِيَدِكَ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ للأَخذ وَالضَّرْبِ لأَنهما بِالْيَدِ، وَاسْتُعِيرَ لِلْجِمَاعِ لأَنه لَمْسٌ، وللجُنون كأَن الْجِنَّ مَسَّتْه؛ يُقَالُ: بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ): أَي لَمْ يَمْسَسْني عَلَى جِهَةِ تزوُّجٍ) [3].

وقد ورد المس بمعنى الجنون في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ)[البقرة: 275]، أي: من الجنون.

يقال: مسّ الرجل وألس فهو ممسوس ومالوس، إذا كان مجنونا، وأصله مسّ الشيطان إياه.

جاء أيضاً في تعريف المس: (قَالَ الرّاغِبُ فِي المُفْرَدَاتِ: المَسُّ كاللَّمْسِ، وَلَكِن المَسَّ يُقَال لِطَلَبِ الشَّيْءِ وإِن لم يُوجَدْ، واللَّمْسُ يُقَالُ فِيمَا يكونُ مَعَه إِدْرَاكٌ بحاسَّةِ اللَّمْسِ) [4].

1 – سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ–): سنن أبي داود، ج4، بيروت: المكتبة العصرية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحديث رقم (4306).

2 – علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى: 468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج2، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود واخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ص58.

3 – ابن منظور: لسان العرب، ج6، فصل الميم.

4 – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ–): تاج العروس من جواهر القاموس، ج16، دار الهداية، باب (م س س).

يَا رُبَّ بَيْضاءَ مِنَ العَواسِجِ *** لَيِّنَةِ المَسِّ عَلَى المُعالِجِ

هأْهاءَةٍ ذاتِ جَبينٍ سارِجِ [1].

ويقال للمرأة إذا كانت كريهة المنظر لا تستحلي، أن العين لتجبأ عنها، قال حميد بن ثور الهلالي:

ليست إذا سمنت بجائبة *** عنها العيون كريهة المس[2].

ومنه المساس وهو عدم المخالطة: (أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ) أَيْ: لَا تُخَالِطْ أَحَدًا، وَلَا يُخَالِطْكَ أَحَدٌ، وَأَمَرَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ لَا يُخَالِطُوهُ، وَلَا يَقْرَبُوهُ)[3].

والمس أيضاً: الإصابة، قال تعالى: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)[آل عمران: 140].

وقد فرق بعضهم بين المسّ واللمس في تفسير هذه الآية، فقالوا: اللمس أخص، فإنه بالحاسة، والمس به وبغيره، وهو ههنا عبارة عن الإصابة والقرح أعم من الجرح، فإن الجرح إصابة الجارحة في الأصل، والقرح يقال له ولما يحدث من ذاته، نحو: قَرِحَ البعير إذا خرج به قَرْحَة، وهي شِبه جرب[4].

ومن لطيف ما وقف عليه الباحث في معنى المس تعليق على قول الحق عز وجل: (وَلاَ تركنوا إِلَى الذين ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النار)[هود: 113]. في هذا النصّ تلاؤمٌ بديعٌ بين اللّفظ والمعنى المراد، وبيانُه أنَّ الرُّكُونَ إلى الذين ظلموا نوْعٌ من الميْلِ إليهم والاعتماد عليهم، دون انغماس معهم في الظلم، فلاءم هذا المعنى أن يُخْتَارَ في بيان العقاب لفظ (فَتَمَسَّكُمُ النار) لأنّ المسّ فيه معنى ملاصقة النار دون الانغماس فيها [5].

1 – في اللسان غير منسوب.

2 – السيد أحمد عمارة: دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي، ص17.

3 – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (1417 هـ – 1997 م): معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج5، ط4، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ص292.

4 – الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (1420 هـ – 1999 م): تفسير الراغب الأصفهاني، ج3، ط1، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني طنطا، كلية الآداب، جامعة طنطا، ص876.

5 – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (1416 هـ – 1996 م): البلاغة العربية، ج2، ط1، بيروت: دار القلم، ص522.

ومما سبق يتبين لنا أن معنى المس يدور بين اللمس باليد وبغيرها، وبمعنى الجنون، وعدم المخالطة، وبمعنى الإصابة، ونحوها من المعاني التي استخدمتها العرب في هذا المضمار، إلا أن الاستخدام المجازي لهذه الكلمة مما يدخل عندنا في باب اللامساس هو استخدام هذا اللفظ في التعبير عن المعاشرة الزوجية، وهو ما وردفي الذكر الحكيم في قوله تعالى: (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)[البقرة: 23].

قال ابن عباس في رواية الوالبي في قوله: (مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) قال: المس: النكاح، والفريضة: الصداق، ومعنى (تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً): توجبوا لهن صداقا [1].

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[المجادلة: 3].

جاء في تفسير قوله تعالى: (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا): قَوْلُهُ: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) وَالْمُرَادُ بِـ- "التَّمَاسِّ": الْمُجَامَعَةُ، فَلَا يَحِلُّ لِلْمُظَاهِرِ وَطْءُ امْرَأَتِهِ الَّتِي ظَاهَرَ مِنْهَا مَا لَمْ يُكَفِّرْ)[2].

فالمس إذن للنكاح الشرعي والعرب لا يسمون غيره مساً، فإذا واقع الرجل امرأة لا تحل له لا يقال له مسها بل يقال فجر بها، ويؤكد هذا ما جاء في بعض التفاسير من نحو قولهم: جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال، لأنه كناية عنه، كقوله تعالى: (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ)، والزنا ليس كذلك، إنما يقال فيه: فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك)[3].

الموضع الخامس: المباشرة:

جاء في معجم المقاييس: (بَشَرَ) الْبَاءُ وَالشِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ: ظُهُورُ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ. فَالْبَشَرَةُ ظَاهِرُ جِلْدِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُ بَاشَرَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، وَذَلِكَ إِفْضَاؤُهُ بِبَشَرَتِهِ إِلَى بَشَرَتِهَا. وَسُمِّيَ الْبَشَرُ بَشَرًا لِظُهُورِهِمْ. وَالْبَشِيرُ الْحَسَنُ الْوَجْهِ)[4].

وفي اللسان: (وتبطَّن الرجلُ جاريتَه إِذَا باشرها ولمَسَها، وَقِيلَ: تبطَّنها إِذَا أَوْلَج ذكرَه فِيهَا؛ قَالَ إمرؤُ الْقَيْسِ:

---

1 – الوسيط في تفسير القرآن المجيد للنيسابوري، (سبق ذكره)، ج1، ص: 43.

2 – البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير، ج8 (سبق ذكره)، ص51.

3 – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (1407هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، ص10.

4 – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (1399هـ- 1979م): معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، باب (بشر).

كأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَواداً لِلَذَّةٍ *** وَلَمْ أَتَبطَّنْ كاعِباً ذاتَ خَلْخالِ

وَقَالَ شَمِرٌ: تبطَّنها إِذَا باشَرَ بطنُه بطنَها فِي قَوْلِهِ:

(إِذَا أَخُو لذَّةِ الدُّنْيَا تبطَّنها)[1].

وجاء في تاج العروس: (باشَرَ الرجلُ المرأَةَ، إِذا صَارا فِي ثَوْبٍ واحدٍ، فباشَرَتْ بَشَرَتُه بَشَرَتَها). وَمِنْه الحديثُ: (أَنّه كَانَ يُقَبِّلُ ويُبَاشِرُ وَهُوَ صائِم، وأَراد بِهِ المُلَامَسَةَ، وأَصلُه مِن لَمْسِ بَشَرةِ الرجلِ بَشَرَةَ المرأَةِ، وَقد يَرِدُ بمعنَى الوَطْءِ فِي الفَرْجِ، وخارجاً مِنْهُ)[2].

وهذا المعنى الأخير (الوطء) هو الشاهد في بحثنا لأنه من اللامساس الذي ورد بالمعنى نفسه في القران الكريم في قوله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)[البقرة: 187].

قال أهل التفسير في هذه الآية: (بَاشِرُوهُنَّ: جامعوهنّ حلالا، سميت المجامعة مباشرة لتلاصق كلّ واحد منهما ببشرة صاحبه)[3].

ومنه قولهم كذلك: (يباح لكم في ليالي الصيام وقاع زوجاتكم، فهنّ ستر لكم عن الحرام، علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بالجماع ليلة الصيام، فتاب الله عليكم وعفا وصفح عنكم، والآن أباح الله لكم بأن تباشروا نساءكم، واطلبوا ما أباحه الله لكم من الاستمتاع لإنجاب الذرّية)[4].

الموضع السادس: الدخول:

جاء في تعريف الدحول في اللغة؛ دَاخِلُ الشَّيْءِ خِلَافُ خَارِجِهِ وَدَخَلْتَ الدَّارَ وَنَحْوَهَا دُخُولًا صِرْتَ دَاخِلَهَا فَهِيَ حَاوِيَةٌ لَكَ وَهُوَ مَدْخَلُ الْبَيْتِ بِفَتْحِ الْمِيمِ لِمَوْضِعِ الدُّخُولِ إلَيْهِ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَدْخَلْتُ زَيْدًا الدَّارَ مُدْخَلًا بِضَمِّ الْمِيمِ وَدَخَلَ فِي الْأَمْرِ دُخُولًا أَخَذَ فِيهِ وَدَخَلْتُ عَلَى زَيْدٍ الدَّارَ إذَا دَخَلْتَهَا بَعْدَهُ وَهُوَ فِيهَا وَدَخَلَ بِامْرَأَتِهِ دُخُولًا وَالْمَرْأَةُ مَدْخُولٌ بِهَا[5].

---

1 – ابن منظور: لسان العرب، (فصل الباء الموحدة).

2 – الزبيدي: تاح العروس، باب (بشر)

3 – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (1422، هـ – 2002 م): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج2، ط1، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ص78.

4 – وهبة بن مصطفى الزحيلي (1422 هـ): التفسير الوسيط للزحيلي، ج1، ط1، دمشق، دار الفكر، ص91.

5 – لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، بيروت: المكتبة العلمية، باب (د خ ل).

من التعريف المعجمي السابق تبين أن معنى الدخول متعلق بالمواضع، كان يدخل الدار مثلاً كما في قول الحق عز وجل: (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)[النور: 61]، أو مواضع الحديث كالنقاش أو الحوار كان تقول دخلت في حديث مع زيد بمعنى: شاركته الحديث، وكل ذلك من قبيل الدخول العادي الذي بمعنى الولوج في الشيء، كما في قول الشاعر:

تُرِيكَ، إذا دَخَلَتَ على خَلاَءٍ *** وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكاشِحينَ [1].

لكن القرآن الكريم استخدم هذا اللفظ بمعنى الجماع من قبيل اللامساس والتلطف في الأسلوب، لأن العرب تقول: دخل فلان بامرأته، وهم حينئذ لا يريدون الدخول العادي، وإنما يريدون ما ينتج عن خلوة الرجل بالمرأة حين يدخلا موضعاً ليستمتعا ببعضهما، وقد جاء هذا الاستعمال واضحاً في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)[النساء: 23]، يَعْنِي: فِي نِكَاحهنَّ[2].

الموضع السابع: الجلود:

الجلد كما هو معلوم: غشاء البدن وقشره، وجمعه جلود، قال الله تعالى: (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها) (النساء: 56). وقال الله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ)[الزمر: 23]، أي: أبدانهم. قَالَ الرَّاجِزُ:

أَرُفْقَةٌ تَشْكُو الجُحافَ والقَبَصْ[3] *** جلودُهم أَلْيَنُ مِنْ مَسِّ القُمُصْ[4].

لكننا نجد القرآن العظيم قد استخدم لفظ (الجلود) للتعبير عن الفروج كما ذكر ذلك ابن عباس وعدد من المفسرين، وذلك في قول الحق عزّ وجلّ: (قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [21] وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ)[فصلت: 22.21].

---

1 – البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة:

أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ، فَاصبَحينا،... وَلاَ تُبقي خُمُورَ الأندَرِينَا

2 – أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار(1418هـ – 1997م): تفسير القرآن، ج 1، ط1، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ص413.

3 – القَبْصُ والقَبَصُ: وجَعٌ يُصِيبُ الْكَبِدَ عَنْ أَكل التَّمْرِ عَلَى الرِّيقِ وشُرْب الْمَاءِ عَلَيْهِ.

4 – ورد البيت في لسان العرب لابن منظور بغير نسبة.

قال ابن عباس: يريد فروجهم. وهو قول الجميع. قالوا: كنى الله تعالى عنها بالجلود)[1]، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنها الأعضاء، ولكن يذهب الباحث إلى ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه في أن المقصود به الأعضاء لأننا نلمح إشارة إلى هذا المعنى في الآية التالية لها وهي قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ)، فإن الذي يستتر منه مرتكب الإثم من الأعضاء المذكورة غالباً هو الفروج، فقد يجاهر الشخص بالبطش باليد، أو السرقة عن طريق الحرابة دون تستر، وقد يتعمد أحدهم النظر الحرام دون حاجة إلى تستر، لكن يصعب على أحدهم المجاهرة بفعل الفروج بل يفعل ذلك خفية ولعلّ ذلك هو الذي أراده الحق عز وجل بقوله (تَسْتَتِرُونَ) وقوله (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ).

وقال ابن فارس في هذا الموضع: (الكناية لها بابان: أحدهما أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسيناً للفظ أو إكراماً للمذكور، وذلك كقوله جلّ ثناؤه: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) قالوا: إن الجلود في هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان)[2]، أراد: حاجاته.

ومن هنا يتبين لنا أسلوب التلطف القرآني في اختيار العبارات والألفاظ التي تؤدي المعنى المراد دون المساس بحياء المخاطبين، ولا يخفى علينا الفرق بين كلمة جلودهم وفروجهم من أثر وقع الكلمة في نفس المخاطب بهذه اللغة.

الموضع الثامن: السر:

السر في اللغة معروف وهو الكتم وعدم الإعلان، كما ورد في المعاجم العربية:

(السِرُّ: الذي يُكْتَمُ، والجمع الأسرار. والسَريرة مثله، والجمع السَرائر. وفى المثل. " ما يوم حليمة بسر "، يضرب لكل أمر متعالم مشهور)[3].

وفي موضع آخر: (فَالسِّرُّ: خِلَافَ الْإِعْلَانِ. يُقَالُ أَسْرَرْتُ الشَّيْءَ إِسْرَارًا، خِلَافَ أَعْلَنْتُهُ. وَمِنَ الْبَابِ السِّرُّ، وَهُوَ النِّكَاحُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُعْلَنُ بِهِ.)[4].

إلا أننا نجد أن هذا المعنى للفظ السر لم يكن قاصراً عليه، فقد استخدمته العرب بمعنى النكاح، قال امرؤ القيس:

---

1 – للنيسابوري: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج4، ص30.

2 – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (1418هـ-1997م): الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ج1، ط1، محمد علي بيضون، ص201.

3 – الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب (س ر ر).

4 – أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، باب: (سر).

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني *** كبرت وأن لا يحسن السرّ أمثالي

وقال الأعشى:

فلم يطلبوا سرّها للغنى *** ولم يسلموها لإزهادها

جاء في غريب الحديث: (فالسر هُوَ النِّكَاح قَالَ الله تبَارك وتَعَالَى: (ولكِنْ لَا تُوَاعِدُوْهُنَ سِرًّا). [البقرة: 235]. وَقَالَ امْرُؤ الْقَيْس بْن حجر:

أَلا زعمت بسباسة الْيَوْم أنني *** كبرتُ وَأَن لَا يحسن السِّرّ أمثاليْ)[1].

أي نكاحها، وقال الكلبي: لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا أي لا تصفوا أنفسكم لهنّ بكثرة الجماع فيقول لها آتيك الأربعة والخمسة وأشباه ذلك، وعلى هذا القول السرّ هو الجماع نفسه، وقال الفرزدق:

موانع للأسرار إلّا لأهلها *** ويخلفن ما ظنّ الغيور المشفشف

يعني أنهنّ عفائف اليد عن الجماع إلّا من أزواجهنّ.

قال رؤبة:

فعفّ عن أسرارها بعد الغسق *** ولم يضعها بين فرك وعشق

ونجد هذا المعنى أيضاً عند المفسرين في تفسيرهم لقول الحق عز وجل:

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا)[البقرة: 235].

قالوا في تفسير هذه الآية: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ بقلوبكم)، وقال الحسن: يعني الخطبة وَلكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ بيوم، قال بعضهم: هو الزنا وكان الرجل يدخل على المرأة من أجل الريبة وهو يعرّض بالنكاح فيقول لها: دعيني فإذا وفيت عدّتك أظهرت نكاحك، فنهى الله تعالى عن ذلك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وجابر بن زيد وابن أبي مجلز والضحّاك والربيع وعطاء، وهي رواية عطية عن ابن عباس، يدلّ عليه قول الأعشى:

ولا تَقرَبَنَّ جارةً إن سِرَّها *** عليكَ حَرامٌ فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدا

وقال الحطيئة:

ويَحْرُمُ سِرُّ جارتهم عَلَيْهِم *** وَيَأْكُل جارُهم أُنُفَ القِصاعِ

1 – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم: غريب الحديث، مادة (سرر).

يعني عفّ عن غشيانها بعد ما لزمته لذلك... وورد مثل هذا الكلام في تفسير القرطبي. والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء، لأنه مما يسرّ. قال الأعشى:

وَلَا تَقْرَبَنْ مِنْ جَارَةٍ إِنَّ سِرَّهَا *** عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا

ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً)[1].

الخاتمة:

إنَّ هذه الدراسة قد تناولت موضوع البحث: (التغير الدلالي في ألفاظ اللامساس الواردة في القران الكريم). وقد اعتمد الباحث في كتابتها طريقة تقصي المفردة العربية بالرجوع إلى أصلها في معاجم اللغة العربية المعروفة، وبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بقدر يحسب الباحث أنه يفي بالغرض ويحقق المراد من البحث، مع إيراد الشواهد الشعرية من مصادرها الموثوقة. وجاءت خطة الدراسة على ثلاثة فصول تحتها عدد من المباحث.

أولاً: النتائج:

بعد أن طوّف الباحث في أعماق المفردات اللامساس، من القرآن الكريم توصلت الدراسة إلى الآتي:

1. اهتمام اللغويين القدامى والمحدثين من العرب وغير العرب بموضوع الدلالة الذي من موضوعاته اللامساس دليل على أهمية علم الدلالة من بين فروع علوم اللغة، وذلك لارتباطه بالقرآن الكريم الذي قامت الدراسات اللغوية من أجله، وهو دليل قاطع على النقلة النوعية التي شهدتها الألفاظ العربية بعد ظهور الإسلام.
2. التزم أسلوب اللامساس في القرآن الكريم بالعرف اللغوي الذي اعتادت عليه العرب في خطابها ولغتها وسعى به إلى مراتب الكمال اللغوي حتى تكون اللغة خالدة كخلود الرسالة التي نزلت بها.
3. يعد اللامساس وسيلة لاحترام الآخرين كما يعد وسيلة لاحترام الحالة النفسية للأفراد والمجتمعات بعدم التعرض للشتم أو المآخذ اللغوية.
4. اللامساس وسيلة من وسائل ثراء اللغة العربية وأحد أعمدة معجمها اللغوي إذا أحسن الناس استخدامه، وهو دليل قاطع على أن اللغة العربية ليست جامدة كما يظن بعضهم بل هي مرنة وقابلة للتطور والتجديد.

1 – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص283.

ثانياً: التوصيات:

1. يوصي الباحث بإدخال ألفاظ الدلالة لا سيما الألفاظ الإسلامية ضمن المقررات الدراسية لطلاب المدارس، لتسير جنباً إلى جنب مع مقرراتهم في العلوم العربية والشرعية، ليحدث نوع من الربط المفهومي للنصوص التي يدرسونها وليُسهل عملية التعاطي معها.
2. يوصي الباحث دارسي العلوم العربية والشرعية بالوقوف على هذه الدراسة وما شابهها من الدراسات، فهي قد تساعد اللغويين على معرفة تاريخ المفردة العربية وتطورها، كما تكشف الغموض عن بعض المعاني والدلالات التي ربما شكلت التباساً في المفاهيم، ومن ثم كانت سبباً في الخلاف اللغوي أو الشرعي بسبب اختلاف دلالة الكلمات.
3. يوصي الباحث بتناول قضية التطور الدلالي في الألفاظ بشكل عام، وذلك بالترويج لها من خلال المنابر الخطابية، والإعلامية، والدعوية، والنشر في الكتب المتخصصة في هذا الشأن.
4. يوصي الباحث بأن يحث الأساتذة طلابهم الباحثين في مستويات الدراسة المختلفة لتناول مثل هذه الموضوعات التي تعين على تجلية فهم المعاني والدلالات الصحيحة للألفاظ وتجليها حتى لا يُصاب المسلمون في مقتل.
5. يوصي الباحث بدراسة الألفاظ الإسلامية وتمعنها، فقد تعين على معرفة جانب كبير من خبايا اللغة وأسرارها، كما تعين على الفهم الصحيح لكثير من القضايا المتعلقة بأمر الدين، لكثرة ورودها وجريانها في القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، وكتب الفقه، والعقيدة، والتفاسير، وغيرها من العلوم الشرعية، وبذلك يكون الباحث قد ساهم في نشر كوامن الألفاظ وعرضها في قوالب تفتح شهية من يطالع البحث أو يتمعن فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. ابن سلام الهروي (1396هـ): غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، بيروت: دار الكتاب العربي.
3. علي بن النيسابوري (المتوفى: 468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية.
4. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (1421 هـ 2000 م): المحكم والمحيط الأعظم، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.
5. علي بن محمد الماوردي (المتوفى: 450هـ) تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

6. عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية.
7. الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، طنطا، كلية الآداب – جامعة طنطا.
8. محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (1407 هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.
9. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
10. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (1384هـ-1964م): الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية.
11. محمد بن عمر بن الحسن الرازي (1420 هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
12. الحسين بن مسعود البغوي (1417 هـ- 1997 م): معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، ط4، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع.
13. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (1407 هـ- 1987 م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط 4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.
14. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (1418هـ-1997م): الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الطبعة: ط1، محمد علي بيضون.
15. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (1422، هـ- 2002 م): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي بيروت: دار إحياء التراث العربي.
16. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية.
17. أحمد مختار عمر: علم الدلالة للدكتور، ط5، القاهرة، عالم الكتب.
18. رمضان عبد التواب (1420هـ-1999م): فصول في فقه العربية، القاهرة، مكتبة الخانجي.
19. السيد أحمد عمارة: دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي.
20. علاء إسماعيل الحمزاوي (بدون تاريخ نشر): الأمثال العربية والأمثال العامية، مقارنة دلالية، جامعة المنيا.
21. مجد الدين ابن الأثير (1399هـ- 1979م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

22. مجد الدين الفيروزآبادى (1426 هـ- 2005 م): القاموس المحيط، ط8، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
23. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (1414 هـ): فتح القدير، ط5، بيروت: دار ابن كثير.
24. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (المتوفى: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
25. محمد بن مكرم بن على ابن منظور (1414 هـ): لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
26. محمود عكاشة (1426هـ- 2005 م): التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات.
27. منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني (1418هـ- 1997م): تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ط1، الرياض، دار الوطن.
28. مهدي محمد ناصر الدين (1414هـ- 1994م): شرح ديوان الشاعر الأخطل، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.
29. وهبة مصطفى الزحيلي (1422 هـ-): التفسير الوسيط للزحيلي، ط1، دمشق، دار الفكر.